

## محفوظ.. والرواية.. ونوبل

### الفرض الأدبي

**الحديث** عن كاتب عظيم مثل نجيب محفوظ ليس بالأمر السهل، لأنه ليس أديبا طال عمره، وظل يمارس الكتابة الأدبية أكثر من ستين سنة بلا انقطاع فحسب، وإنما لأنه نال رضا شعبيا وإعلاميا وحكوميا، بل لقد رضى عنه اليمين واليسار، ومن هم بين اليمين واليسار في الثقافة العربية المعاصرة، لذلك طبعت كتبه عشرات المرات، وقدمت معظم أعماله في السينما، وأحيانا في الإذاعة والمسرح. كما ترجمت إلى بعض اللغات العالمية، حتى قبل أن يظفر بجائزة نوبل سنة ١٩٨٨، والتساؤل الذي تحاول هذه الدراسة الإجابة عنه هو: كيف تحول محفوظ إلى مؤسسة أدبية تجذب أنظار المثقفين، وغير المثقفين على اختلاف رؤاهم الأيدولوجية وتعدد مواقفهم الإنسانية؟

\*\*\*

### ١- الرجل

□ نجيب محفوظ.. يحمل اسما مركبا من اسمين. واسم أبيه عبد العزيز، وكان يعمل موظفا صغيرا، وفي أواخر حياته عمل بالتجارة.  
□ ولد في ديسمبر سنة ١٩١١ في حي الجمالية، القريب من منطقة

الحسين والأزهر في مدينة القاهرة القديمة.

□ انتقل إلى منطقة العباسية، وهو صبي صغير في الثانية عشرة

من عمره.

□ له أربع أخوات .. وأخوان .. وهو السابع الصغير - الذي يشبه

«كمال» في ثلاثية «بين القصرين».

□ نشأ في بيئة شعبية، يسيطر عليها جو ديني صارم، وتقاليد

اجتماعية محافظة.

□ أمه سيدة متدينة متحررة إلى حد ما، وكانت تصحبه - أحيانا -

لزياره متحف الآثار القديمة.. وبعض الأماكن التاريخية.

□ أبوه كان مثقفا ثقافة كلاسيكية متوسطة، وينتمى سياسيا إلى حزب

الوفد، وهو حزب ليبرالي شعبي يمثل اتجاه الأغلبية في مصر من سنة

١٩٢٣-١٩٥٢. وقد أثر انتماء والده لحزب الوفد في الكاتب وإبطال بعض

رواياته، لأن «محموظ» كان متعاطفا مع الجناح اليساري في حزب الوفد.

وحين قامت ثورة ١٩٥٢ آمن بمبادئها السياسية والاجتماعية. لكنه بعد

ذلك نفر منها ومن الأساليب التي اتبعتها في الممارسة السياسية. وقد

انعكس هذا في بعض أعماله التي صدرت بعد سنة ١٩٦٧.

□ النشأة في أسرة محافظة وأحياء شعبية قديمة

[الجمالية والعباسية]، تركت بصمات فكرية حادة في نفسه، انعكس

صداها - بقوة - في كل ما كتب، لذلك نجد معظم رواياته تدور في

أماكن بعينها، هي:

(أ) منطقة الجمالية.. في حي الأزهر والقاهرة الفاطمية.

(ب) منطقة العباسية الشرقية.. التي تقع شرق القاهرة.

(ج) الأسكندرية. التي تعود أن يقضى فيها الصيف في مرحلة

متأخرة - نسيا - من عمره، لذلك لا تظهر كخلفية مكانية في أعماله الأولى.

لكن المنطقة التي أخذت دور البطولة في معظم أعماله هي منطقة الجمالية في القاهرة القديمة، بل إنه لم يستطع أن يتخلص من عالم [الحارة الشعبية]، حتى وهو يكتب روايات ذات طبيعة فكرية أو رمزية أو ملحمية.

□ عناصر المكان التي تدور فيها معظم رواياته هي: الحارة الشعبية القديمة في مصر في النصف الأول من القرن العشرين صحراء العباسية - المقابر - بيت الأسرة - المقهى - الخمارة - الفندق - بيوت الغناء الشعبي والعوالم - منطقة الأهرام - شبرا - مصر الجديدة - الأسكندرية أحيانا.

□ تنقل في العمل ابتداء من ١٩٣٦ بين الجامعة، ووزارة الأوقاف، ومؤسسة السينما، وجريدة الأهرام.

□ أهم الكتاب المعاصرين الذين تأثر بهم: مصطفى المنفلوطي - عباس العقاد - طه حسين - سلامة موسى.

□ بدأ ينشر بعض مقالاته وقصصه القصيرة في الجرائد والمجلات منذ سنة ١٩٣٠، أي منذ تخرجه في الجامعة. وقد جمع بعض قصصه الأولى في مجموعة «همس الجنون».

□ من الأدب العالمي تأثر محفوظ ببعض أعمال الكتاب الروس مثل:

تولستوى - دستويوفسكى - مكسيم جوركى ، وبعض الفرنسيين مثل :  
أناتول فرانس - فلوبير - بروست - مالرو - مورياك - سارتر - كامى ؛  
وبعض الإنجليز مثل : شكسبير - ويلز - برناردشو - جيمس  
جويس - ألدوس هاكسلى - د.هـ. لورانس ؛ وبعض الأمريكين  
مثل فوكنر - جوزيف كونراد ؛ وبعض الألمان مثل : توماس  
مان - جوته - فرانز كافكا .

□ قرأ لكثير من الفلاسفة ، لكن أهم من تأثر بهم فرويد ، وداروين ،  
وماركس ، وبرجسون .

□ تزوج سنة ١٩٥٤ ، وله بنتان هما : أم كلثوم وفاطمة .

□ ظل يلتقى بأصدقائه ومعارفه خارج البيت فى مقهى الأوبرا وسط  
القاهرة ، أو فى مقهى ميدان التحرير ، أو فى مقهى الأسكندرية ، حين  
كان يذهب إليها فى الصيف .

□ لم يخرج من مصر إلا مرتين فى زيارتين قصيرتين : لليمن  
ويوجوسلافيا فى مؤتمرات أدبية ، لأنه لا يميل إلى السفر ، الذى قد  
يتعارض مع نظامه الصارم فى القراءة والكتابة .

□ يحب الموسيقى الشرقية والغناء القديم ، لذلك يفضل أغانى منيرة  
المهدية وأم كلثوم وسيد درويش أكثر من غيرها .

\*\*\*

٢ - الكاتب

□ تعلم محفوظ فى المدارس وتخرج فى كلية الآداب - جامعة القاهرة

- قسم الفلسفة سنة ١٩٣٤. وكما تأثر كاتبنا بقوة بالمناطق الشعبية، التي عاش فيها وهو صغير، تأثر- بنفس القوة - بدراسة الفلسفة، لذلك نجد بعض شخصياته الروائية تعاني أزمات فكرية أو عقائدية، مثل الصراع بين اليمين [الدين] واليسار [الفكر الاشتراكي]، وتعاني أزمة البحث عن المصير، وعلاقة الأرض بالسماء والإنسان بالله. كما في روايات: أولاد حارتنا - الطريق - الشحاذ.

□ محفوظ روايتي درس الفلسفة، لذلك حاول - كثيرا - أن يوفق بين العلم والأدب والفلسفة، لذلك كان يعاني - من خلال بعض شخصيات رواياته - أزمة التوفيق بين العقيدة الدينية والاشتراكية العلمية.

□ من عوامل نجاح محفوظ - روايتيا - دراسته المنظمة للفكر الفلسفي والسياسي، ومعرفته القوية بتاريخ مصر القديم والحديث. وهذا ما جعل له رؤية سياسية وفكرية في معظم ما كتب من قصص وروايات. كما أنه انحاز - بقوة - [للمذهب الواقعي] في الكتابة.. بكل تياراته وتجلياته.

إن كاتبنا حين بدأ سنة ١٩٣٩، كانت الواقعية في طريقها إلى الغياب في معظم الآداب العالمية، ولاسيما المؤثرة منها في الأدب والنقد العربي مثل: الأدب الإنجليزي والفرنسي والروسي والأمريكي والألماني وبعض الآداب الاسبانية وبدأت تظهر فيها اتجاهات أدبية جديدة مثل الوجودية والسريالية واللامعقول ورواية تيار الشعور. لكن «محفوظ» اختار الواقعية - مذهباً للتعبير الأدبي. ولا نغالي إذا قلنا إنه من أهم روادها والمبشرين بها في الأدب العربي الحديث.. قاطبة.

□ يضاف إلى دراسة الفلسفة والتاريخ والانحياز الدائم للواقعية- منذ بداية الكتابة حتى النهاية- أن الكاتب قد انحاز أيضا إلى الطبقة [البرجوازية] - خاصة برجوازية التجار والموظفين، لكي يختار منها نمازجه البشرية. والبرجوازية طبقة كبيرة وخطيرة في كل المجتمعات، لذلك فقد أرضى أشواق شرائحها المختلفة من القراء والنقاد والأدباء والصحفيين. وقد أسهمت البرجوازية المصرية - كثيرا - في الحفاوة بكاتب يعبر عن أزماتها الحادة وأشواقها المشروعة وغير المشروعة. فمحفوظ هو [كاتب البرجوازية المصرية]، الذي استطاع أن يعبر عن أهم أزماتها الاقتصادية والاجتماعية والعاطفية والجنسية.. كذلك عبر أيضا عن بعض مشكلاتها السياسية المختلفة وقلقها الروحي، الذي يتصل بعلاقة الإنسان بالميتافيزيقا.

□ من أسباب شهرة محفوظ أيضا أنه فطن - منذ وقت مبكر- إلى أن الرواية نوع أدبي أكثر خلودا وأشد تأثيرا من القصة القصيرة، لذلك فهو روائى أكثر منه كاتب قصة، ومن هنا فقد كتب (٣٢) رواية، و(١٨) مجموعة قصصية.

\*\*\*

## روايات محفوظ

- |      |                      |
|------|----------------------|
| ١٩٤٣ | ١ - عبث الأقدار      |
| ١٩٤٤ | ٢ - رادوبيس          |
| ١٩٤٥ | ٣ - كفاح طيبة        |
| ١٩٤٦ | ٤ - القاهرة الجديدة  |
| ١٩٤٧ | ٥ - خان الخليلى      |
| ١٩٤٨ | ٦ - زقاق المدق       |
| ١٩٤٩ | ٧ - السراب           |
| ١٩٥٦ | ٨ - بداية ونهاية     |
| ١٩٥٧ | ٩ - بين القصرين      |
| ١٩٦١ | قصر الشوق            |
| ١٩٦٢ | السكرية              |
| ١٩٦٤ | ١٠ - اللص والكلاب    |
| ١٩٦٥ | ١١ - السمان والخريف  |
| ١٩٦٦ | ١٢ - الطريق          |
| ١٩٦٧ | ١٣ - الشحاذ          |
| ١٩٦٧ | ١٤ - ثرثرة فوق النيل |
| ١٩٧٢ | ١٥ - ميرamar         |
| ١٩٧٤ | ١٦ - أولاد حارتنا    |
| ١٩٧٥ | ١٧ - المرايا         |

١٩٧٥	١٨ - الكرنك
١٩٧٥	١٩ - حكايات حارتنا
١٩٧٧	٢٠ - قلب الليل
١٩٨٠	٢١ - حضرة المحترم
١٩٨١	٢٢ - ملحمة الحرافيش
١٩٨٢	٢٣ - عصر الحب
١٩٨٢	٢٤ - أفراح القبة
١٩٨٣	٢٥ - ليالى ألف ليلة
١٩٨٣	٢٦ - الباقي من الزمن ساعة
١٩٨٣	٢٧ - أمام العرش
١٩٨٥	٢٨ - رحلة ابن فطومة
١٩٨٥	٢٩ - العائش فى الحقيقة
١٩٨٥	٣٠ - يوم قتل الزعيم
١٩٨٧	٣١ - حديث الصباح والمساء
١٩٨٨	٣٢ - قشتمر

وقد سئل محفوظ - أكثر من مرة - عن أحب هذه الروايات إلى قلبه، فذكر إنها: الثلاثية - أولاد حارتنا - الحرافيش - حكايات حارتنا.. ويبدو أن هذه الروايات الأربعة لها علاقة عاطفية وفكرية بمخيلة الكاتب، والبيئة التى عاش فيها، وبعض الشخصيات التى ارتبط بها، والأزمات الفكرية التى عانى - هو شخصيا - منها.

## المجموعات القصصية

- ١ - هسس الجنون ١٩٣٨
- ٢ - دنيا الله ١٩٦٢
- ٣ - بيت سيء السمعة ١٩٦٥
- ٤ - خمارة القط الأسود ١٩٦٩
- ٥ - تحت المظلة ١٩٦٩
- ٦ - شهر العسل ١٩٧١
- ٧ - الجريمة ١٩٧٣
- ٨ - الحب فوق هضبة الهرم ١٩٧٩
- ٩ - الشيطان يعظ ١٩٧٩
- ١٠ - وأيت فيما يرى النائم ١٩٨٢
- ١١ - التنظيم السرى ١٩٨٤
- ١٢ - صباح الورد ١٩٨٧
- ١٣ - الفجر الكاذب ١٩٨٨
- ١٤ - القرار الأخير ١٩٩٦
- ١٥ - صدى النسيان ١٩٩٩
- ١٦ - أصداء السيرة الذاتية ٢٠٠٠
- ١٧ - فتوة العطوف ٢٠٠١
- ١٨ - أحلام فترة النقاهاة ٢٠٠٥

معنى ذلك أن «محفوظ» استطاع أن يقدم للتاريخ الإنسانى خمسين عملاً، وهذا إنتاج أدبى ضخم، أنجزه كاتب عظيم فى حوالى سبعين سنة، بالإضافة إلى كتاب مترجم ألفه «جيمس بيكى» بعنوان «مصر القديمة»، وهو أول ما صدر له سنة ١٩٣٢. هذا الإبداع المتواصل المتميز يؤكد عبقرية ذلك الأديب العالمى وأصالته.

\*\*\*

### ٣ - الرواية قبل محفوظ

إذا حاولنا أن نتأمل الخريطة الأدبية لمسيرة الرواية - قبل أن يسهم فيها محفوظ

- فسوف نجد أن:

١ - تاريخ الرواية الحديثة فى مصر يبدأ قبل محفوظ بحوالى نصف قرن، أى من سنة ١٩١٤، التى ظهرت فيها رواية «زينب» لمحمد حسين هيكل.

٢ - الرواية خلال هذه المرحلة الأولى، كانت رومانسية الاتجاه، تعنى بسرد مشكلات الحب، وأحياناً تضيف على هامش الموضوع العاطفى للرواية بعض القضايا الاجتماعية والاقتصادية أو السياسية، كما نجد فى روايات: زينب لهيكل، وعودة الروح لتوفيق الحكيم.

٣ - الرواية التاريخية: كانت تكتب بأعداد كبيرة، لذلك تكاد تتساوى الروايات التاريخية والاجتماعية فى تلك الفترة من حيث الكم والكيف.

٤ - معظم كتاب الرواية الرومانسية : الاجتماعية والتاريخية ، كانوا [هواة] غير متفرغين لكتابة الرواية ، لكن المسئولية الأدبية فرضت عليهم ضرورة الإسهام فى تأسيس هذا النوع الأدبى الجديد وتثبيت أصوله .

٥ - الجيل الذى ينتمى إليه محفوظ من الكتاب ، يمثل جيل (التخصص) والتفرغ لكتابة الرواية . وأهم من يمثل هذا الجيل : نجيب محفوظ - عادل كامل - يحيى حقى - محمد عبد الحلیم عبد الله - عبد الحمید جودة السحار - يوسف السباعى - إحسان عبد القدوس - سعد مكاوى - عبد الرحمن الشرقاوى - يوسف إدريس - محمود البدوى .

٦ - امتاز محفوظ على معظم كتاب جيله بأنه اختار (الواقعية) مذهباً أدبياً لرواياته وقصصه ، فى حين واصل بعض زملائه الكتابة فى إطار الرؤية الرومانسية ، لذلك أسميتهم : «الرومانسيون الجدد» ؛ لأن الجديد هم الروائيون ، وليس مذهبهم .

٧ - كذلك امتاز على كتاب جيله ، ومن تلاه من الرومانسيين والواقعيين على حد سواء بكثرة الإنتاج وجودته . ومغامراته الإبداعية ، التى يحاول أن يعكس فيها كثيراً من قضايا الواقع الساخنة ، لذلك يمكن - بشكل ما - أن نجد صدقاً واضحاً لحركة المجتمع المصرى وقضاياه السياسية والفكرية فى أغلب نتاجه الروائى والقصصى .

٨ - عرف محفوظ بشكل جماهيري واسع بعد ثورة ١٩٥٢ . وبعد ظهور عمله الأدبي الضخم.. ثلاثية «بين القصرين»، لأن هذه الفترة هي مرحلة ازدهار الفكر اليساري الذي صاحب ثورة ١٩٥٢ ، واعتبر محفوظ واحدا من أهم أدياء هذا التيار.. لذلك رضيت عنه الحكومة.. والمثقفون.. ورجال الإعلام.. والسينما.. وكتبت حوله دراسات نقدية.. ورسائل أكاديمية لا حصر لها، وعلى هذا فقد نال ما لم ينله الكثيرون.. وحظى بما هو أهم من جائزة نوبل، حيث يعد واحدا من الأدياء العظام.. وهرم الرواية العربية.

\*\*\*

#### ٤ - محفوظ.. روائيا

أول رواية نشرت لمحفوظ كانت سنة ١٩٣٩ ، وآخر رواية سنة ١٩٨٨ . وفي خلال هذه السنوات الخمسين مر نتاجه الروائي بعدة مراحل هي :

(أ) المرحلة التاريخية [١٩٣٩-١٩٤٤]: التي استلهم فيها تاريخ مصر الفرعونية، وقدم فيها إشارات ورموزا، تتصل ببعض قضايا المجتمع المعاصر. وهذه الروايات هي: عبث الأقدار- رادوبيس - كفاح طيبة - ويلحق بها من رواياته الأخيرة: العائش في الحقيقة [١٩٨٥].

(ب) الواقعية النقدية [١٩٤٥ - ١٩٧٥]: كتب فيها روايات تهتم بتصوير بعض أزمات الواقع المصرى قبل ثورة ١٩٥٢ على المستوى الاجتماعى والسياسى، وهى: القاهرة الجديدة - خان الخليلى - زقاق المدق - السراب - بداية ونهاية - الثلاثية «بين القصرين - قصر الشوق - السكرية».

(ج) الواقعية الفلسفية [١٩٦١ - ١٩٦٧]: أصيب محفوظ بصدمة فكرية بعد قيام ثورة ١٩٥٢، لأنه ظن أنها قد حققت قدرا من العدالة الاجتماعىة والحرية السياسية، التى كان يدعو إليها فى كتاباته، من هنا اتجه إلى كتابة روايات يغلب عليها البعد الرمضى والتفسير الميتافيزيقى والتساؤل الفلسفى عن علاقة الإنسان بالكون.. ومحاولة التعرف إلى بعض القيم، التى تربط بين الأديان المختلفة. وقد انتهى الكاتب من ذلك كله إلى أن المتصوف هو أقدر البشر على إدراك الحقيقة العليا، ومع ذلك لم يتوقف عند المتصوف إلا باعتباره شخصية ثانوية، لأن الصراع الذى دار فى نفسه بين العلم والفلسفة والدين، حسم بتأثير من فكر داروين وماركس لصالح العلم.

الروايات التى تمثل هذه المرحلة الفلسفية هى: اللص والكلاب - السمان والخريف - الطريق - الشحاذ - ثرثرة فوق النيل - ميرامار - أولاد حارتنا.

(د) العودة إلى الواقعية النقدية [١٩٧٢ - ١٩٨٨]: أصدر كاتبنا فى هذه المرحلة الروايات التالية: المرايا - الكرنك - حكايات حارتنا

- قلب الليل - حضرة المحترم - ملحمة الحرافيش - عصر الحب  
- أفراح القبة - ليالى ألف ليلة - الباقى من الزمن ساعة - رحلة ابن  
فطومة - يوم قتل الزعيم - حديث الصباح والمساء - قشتمر.

فى هذه المرحلة الأخيرة عاد محفوظ لعالمه المفضل عالم الأحياء  
الشعبية، التى نشأ فيها وظل فى معظم أعماله، عاشقا لها.

كما استمر يكتب على ضوء المفاهيم الواقعية للأدب، من هنا كان  
جريئا - بالقياس إلى معظم كتاب عصره - فى طرح بعض القضايا  
السياسية والصراعات الأيدولوجية، التى كان يتناقش فيها بعض  
إنتلجنسيا البرجوازية المصرية، كما أنه كان قادرا - بالإضافة إلى  
ذلك - على تصوير قضايا الحب والجنس وعالم الشوان، وطائفة العوالم  
والخدم والعمال بطريقة فنية عميقة وجذابة.

كذلك استمر محفوظ وفيا لانتقائه الطبقي: فأبطال معظم رواياته  
دائما من الطبقة البرجوازية فى الأحياء الشعبية من القاهرة، سواء  
أكانوا من التجار أم من المثقفين وصغار الموظفين وطلبة الجامعة. وهو  
يورد بعض الشخصيات الهامشية من الطبقة الأرستقراطية أو بعض  
الشخصيات الثانوية من الطبقة الشعبية. لكن هؤلاء الأغنياء وأولئك  
الفقراء - دائما - فى رواياته على هامش الأحداث.

من هنا يتميز محفوظ بأنه بدأ وانتهى كاتبا واقعيا ملتزما بالتعبير  
عن الطبقة الوسطى فى المناطق الشعبية من القاهرة القديمة.

ملاحظة أخيرة: يدركها كل من يتابع تطور النتاج الروائى عنده:

وهى أن البطل فى معظم رواياته يتحرك فى مرحلة زمنية قريبة من عمر كاتبنا نفسه، لذلك نلاحظ أن الأبطال فى معظم رواياته الأولى من الشبان.. وفى الوسطى من الرجال.. وفى المرحلة الأخيرة من الشيوخ - كبار السن. فبطل إحدى مجموعاته الأخيرة [١٩٨٧]، يقول عن نفسه: «اليوم أبدأ حياة أخرى، حياة التقاعد. عمر طويل تقضى فى خدمة الحكومة، أفنى شبابى وكهولتى، وأظل بى على الشيخوخة، وأظلمنى بولاء لملك وأربعة رؤساء [جمهورية]، فلم يشعر أحدهم لى بوجودى...».

وشخصيات روايته الأخيرة «قشتمر» [١٩٨٨] ولدوا فى سنة قريبة من السنة التى ولد فيها، وعاشوا فى الأحياء التى عاش فيها، وهى هنا العباسية. «العباسية فى شبابها المنطوى، واحة فى قلب صحراء مترامية، بدأ التعارف عام ١٩١٥ فى فناء مدرسة البرامونى الأولية. دخلوها فى الخامسة وغادروها فى التاسعة. ولدوا عام ١٩١٠ فى أشهر مختلفة، لم يبارحوا حيههم حتى اليوم الأول، وسيد فنون فى قرافة باب النصر...» فشخصيات آخر رواياته يتحركون فى منطقة «العباسية»، التى عاش فيها مرحلة صباه.. كما أنهم ولدوا سنة ١٩١٠ فى حين ولد محفوظ ١٩١١.

هذا كله يؤكد أن محفوظ - كان يستوحى شخصيات قريبة من عمره الزمنى.. على أى شىء يدل هذا؟!

ننتهى من هذا العرض الموجز لحديثنا عن محفوظ لنؤكد أن كاتبنا له رؤية فلسفية وسياسية وأدبية، ظل [محافظا] عليها - إلى حد

كبير- من البدء إلى الختام. وقد استطاع أن يعكس حركة المجتمع المصري في أكثر من نصف قرن، ويصور كثيرا من قضايا ومشكلاته، من خلال رؤية شمولية، وعالم رحب، تأخذ البرجوازية الصغيرة مكانا مهما فيه.

\*\*\*

## ٥- محفوظ.. ونوبل

على رغم أن جائزة «نوبل» العالمية، تمنح منذ سنة ١٩٠١- إلا أن الأدباء العرب كانوا قد يئسوا من إمكانية منحها لواحد منهم. وقد سبق أن رشح لها توفيق الحكيم وطه حسين، لكن باب الفوز لم يفتح، على رغم أهمية تراث كل منهما. وهذا ما جعل المثقفين العرب، يؤمنون أن تلك الجائزة، لا تمنح لأسباب أدبية فقط.

وفجأة أعلنت الأكاديمية السويدية يوم ١٣ / ١٠ / ١٩٨٨ قرارها بمنح محفوظ الجائزة. ومما جاء في حيثيات القرار: «طبقا لقرار الأكاديمية السويدية فقد منحت جائزة نوبل في الأدب هذا العام لكاتب مصري لأول مرة، هو نجيب محفوظ، الذي ولد ويعيش في القاهرة. وهو أيضا أول كاتب يفوز بالجائزة من بين كتاب اللغة العربية. وهو يكتب منذ خمسين عاما. وأعظم إنجازاته هي الرواية والقصة القصيرة. وقد أعطى إنتاجه دفعة كبرى للقصة باعتبارها نوعا أدبيا، يتخذ من الحياة اليومية مادة له. كما أنه أسهم في تطوير اللغة العربية كلغة أدبية.

ولكن ما حققه محفوظ أعظم من ذلك ، فأعماله تخاطب البشرية جمعاء ،  
وليس فقط أولئك الناطقين بالعربية.

إن أدب محفوظ يتميز بالثراء والتنوع الواسع ، وبالواقعية ذات  
الرؤية المباشرة والغموض المثير بدلالاته النافذة ، وإن أعماله تشكل  
فنا عربيا فى القصص والرواية ، يخاطب البشرية كلها . وإن هذه  
الأعمال استهدفت إعطاء دفعة كبيرة للرواية ، كنوع أدبى فى الآداب  
العربية..»

وفوز روائى عربى بهذه الجائزة العالمية ، له - فى تقديرى - أكثر  
من دلالة بالنسبة للكاتب ، واللغة التى يكتب بها ، والأمة التى ينتسب  
إليها . لكنى سأكتفى بداليتين - فقط الآن - هما :

(أ) دلالة هذا الفوز بالنسبة لمحمفوظ: إنه اعتراف عالمى  
بدوره العظيم ، باعتباره كاتباً عربياً متميزاً ، استطاع أن يصور حياة  
الناس فى بلاده تصويراً واقعياً مؤثراً ، لا يخلو من رؤية فلسفية للكون  
والحياة والإنسان . الأديب الحق صاحب رؤية فنية خاصة إزاء قضايا  
الحياة الكبرى . ومحمفوظ واحد من الكتاب العظام القلائل ، الذين يمكن  
أن نستشف من أعماله أن له موقفاً فكرياً متكاملًا إزاء قضايا الحياة  
الكبرى ، التى تتصل بالعقيدة والسياسة وقضايا المجتمع وعلاقة  
الإنسان بالآخر .

إن عالم محفوظ الروائى والقصصى عالم [محلّى] بالمعنى الضيق  
لكلمة المحلية ، فمعظم أعماله تدور فى أحياء شعبية بعينها فى

القاهرة القديمة، و على رغم ذلك فإن أدبه يتجاوز تصوير أزمة الفرد إلى التعبير عن قضية الإنسان.

(ب) هذه الجائزة ذات دلالة أخرى بالنسبة للأدب العربي:

إن الرواية فن حديث النشأة فى الآداب العالمية كلها. وحين ظهر هذا الفن الجديد فى مصر، وغيرها من البلاد العربية - رأى بعض المستشرقين والنقاد العرب أن الرواية شكل أدبى [وافد]، وأن الأدب العربى قد استعار قواعده وأشكاله من الآداب الأوروبية. دليلهم على هذا أن معظم رواد الرواية [مثل: هيكل والحكيم وطه حسين والمازنى وفريد أبو حديد.. وغيرهم]، قد تثقفوا ثقافة أوروبية رفيعة. بل إن بعضهم كتب روايته الأولى وهو مقيم فى أوروبا فى أثناء فترة دراساته العليا.

نحن لا نعتقد فى سلامة هذا الرأى، لأن الظواهر الأدبية ظواهر معقدة، وليس هناك سبب واحد يودى إلى وجود ظاهرة ما - أدبية أو غير أدبية - وهذا يعنى أن نشأة الرواية العربية، كانت محصلة لأسباب قومية وأخرى وافدة.

ننتهى من ذلك كله إلى أن الأدب العربى استطاع فى فترة وجيزة - أن يؤصل تقاليد الرواية، وأن يجعلها فنا له وجوده واحترامه على النطاقين: المحلى والعالمى فى آن واحد. وبعد أن كان الأدب العربى أدب شعر وخطابة، أصبح أدب رواية ومسرح.. باختصار صار أدبا عالميا، يبدع فى كافة الأنواع الأدبية المعاصرة: نثرا وشعرا. وهذا كله يعد تعبيرا عن طموح الإنسان العربى نحو الحرية والإبداع والنهضة.